

الأبعاد الفلسفية لمفهوم الجسد عند أمير الشعر العربي أحمد شوقي

د/ أميرة سامي محمود حسين قسم اللغة العربية واللغات الشرقية وآدابها بجامعة طنطا والإسكندرية

(ف. خليف 1974م، 102)، ثم انتقل شوقي إلى تصوير النفس من منطلقه الخاص جامعاً بين الشعر والفلسفة، فشبّه النفس بالأجسام النيرة (الشمس)، وهذا الإيحاء يبعث الإلهام في مخيلة الشاعر الذي يلهث بحثاً عن الجمال في هذا العالم الرحيب؛ إذ يرى النفس شعاعاً ترسم فيه الأرض خربة أو عامرة، وتتحرك بقدرة خالقها تحرك قوى الكون المختلفة. ويوضح شوقي أن حركة النفس من حركة النهار الذي تزدهي بالإشراق، ثم يطويها الخالق أمام زحف ظلام الليل، فتراجع كل الأشعة مستسلمة إلى حيث يقدر لها الاختفاء، ثم ينتقل إلى مشهد الوعي حيث تزدحم به المنازل وتضج الأرض به ويكثر الدمع لفراق النفوس موضحة انتقال الإنسان من مرحلة الشباب إلى الشيخوخة، وهنا تتلون النفس بين القوة والضعف إشارة إلى مرحلتها الشباب والشيخوخة

ثم يصور النفس وهي فزعة مستسلمة باكية لحظة الانفصال بينها وبين الجسد مع إقلاع السفينة مؤذنة بالرحيل إلى حيث المنتهى الأبدى والخلود (D.Johr, 1971, 264)، وكان بكاؤها رمزاً لوفائها لجسد عاشت فيه زماناً ثم انفصلت عنه، وهو وفاء نادر وانفصال قدره محتوم.

وقد حملت نظرة شوقي للنفس داخل قصيدته أبعاداً فلسفية عن عالم المادة (ابن سينا، 1992م، 18) (م. نجاتي 1980م، 227) لما فيه من دناءة وخسة وهبوط منزلة، وشوقي هنا جرى مجرى ابن سينا في نظرية المادة والصورة لكل جسم طبيعي، إذ الروح تدب في الجسد ولا تكاد تنفصل عنه ما دام عاش صاحبه، وكأنها ترضى بهذا الخضوع لأنها تظل حبيسة هذا الجسد ولحظة المنية تنفصل مأمورة كما جاءت كذلك.

كما اتضحت نظرة شوقي الفلسفية تجاه الروح في الدنيا حيث يراها حبيسة في القفص لأنها عادت أدراج عالمها

بث أحمد شوقي في شعره بعض الأصول التي تكشف عن الروح الفلسفية داخل قصائده، وتناول شوقي الجسد داخل إنتاجه الشعري والنثري والمسرحي، فظهرت الصورة الفلسفية للجسد التي وضعها في قالب الشعري داخل قصيدة النفس التي عارض فيها ابن سينا، وجرى مجرى أفلاطون في حسابان النفس روحا كانت عند الخالق، فهبطت ودخلت جسم الإنسان، فقدم شوقي علاجاً للجسد من خلال الموسيقى وعلم العقل، متأثراً بنظريات الفارابي وابن سينا، فظهر البعد الفلسفي للجسد، ودوره التنويري، وازدواج الجسد البشري وجسد المدينة في الإبداعات الشعرية والمسرحية، بالإضافة إلى ظهور ثنائية الروح والجسد في النثر، ودلالاتها الفلسفية عند شوقي.

الصورة الفلسفية للجسد التي وصفها أحمد شوقي في

القالب الشعري داخل قصيدة النفس

عارض شوقي قصيدة النفس لابن سينا (أبي على بن سينا، د.ت، 101) والتي تفصح عن اتجاه ابن سينا الروحاني المتأثر بأفلاطون (R.R. Walzer, 1964, 81) وبدأ قصيدته الطويلة جامعاً بين صفتي الشاعر والفيلسوف بمخاطبة النفس على طريقة الفيلسوف؛ حيث يعمل فكره وخياله ليكشف أسرار توحيدها مع ذلك الجسد، ثم تصوير انفصالها في لحظة الموت، وحين يتعب في بحثه حول حقيقتها وجوهرها وخفاياها يتحول إلى النفس، حتى كاد يغازلها لعلها تكشف عن بعض هذا الجمال، فهي نموذج خالص من نماذج الإبداع الإلهي الذي يقدهس البشر، والذي عانى منه الأبحار والفلاسفة في البحث عن حقيقته (أحمد شوقي مج 1/ ج 2/ 60)

ويتذكر شوقي جهود ابن سينا وحيرته أمام حقيقة النفس، ويصور شوقي النفس في عالم قداستها وسموها جزءاً من الإعجاز الذي أذهل البشر فدهشوا وصمتوا أمامه، وحاكى شوقي النمط الفلسفي الذي وقف عنده ابن سينا

الروحاني العلوي.(P.Phadrus,1964,61) وشوقي هنا يجرى مجرى أفلاطون في حساب النفس روحاً كانت عند الخالق فهبطت ودخلت جسم الإنسان ثم عادت إلى عالمها الروحاني مرة أخرى. (على النشار، د.ت، 180)

وقد طرح شوقي على طريقة الفيلسوف العديد من التساؤلات الحائرة حول قضية النفس منذ هبوطها إلى ملاصقتها للجسد حتى انفصالها عنه، وهي أسئلة تحمل بين طياتها أبعاداً فلسفية حول حقيقتها وجوهرها وخفاياها، تزداد غموضاً كلما زاد بحثاً عنها.

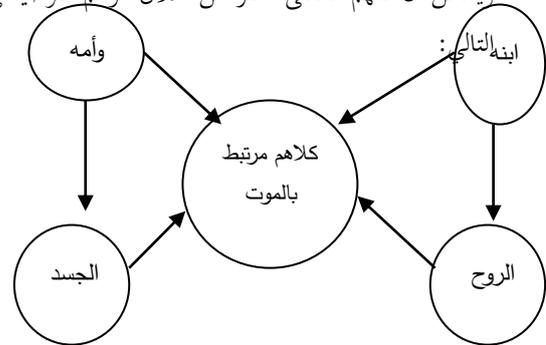
ثنائية الروح والجسد في النثر ودلالاتها الفلسفية عند أحمد شوقي:

مفهوم الروح والجسد عند شوقي:

ارتبط مفهوم الروح والجسد عند شوقي بالموت في قوله: "ماذا أقول في ابنة الموت وأمه، وعلة حكمه ونبذة سهمه، ومنفعة سهمه، وكيف القول في صاحبة لم تملك عن خطبة، ولم بين بها عن رغبة، ولم تبين لملال صحبة، أو بغضة بعد محبة، تسيء ولا تفرك ولولا الموت لم تترك".

(أحمد شوقي، أسواق الذهب/68)

في هذه العبارة نجد أن شوقي يذكر مفهوماً للروح والجسد وارتباطهما بالموت من خلال عبارة ذات بعد فلسفي واضح، وهي عبارة (ابنة الموت وأمه) حيث يوضح ارتباط الروح والجسد بالموت كارتباط الابنة بأمها، ويمكن أن نفهم المعنى أكثر من خلال الرسم التوضيحي



الجسد والروح رمزان للحياة عند احمد شوقي

الموت عدم للجسد، لذا تكون الروح ظللاً، بل هي تعجز أي سؤال عن الجواب، فتصبح النهاية بلا لون، وهذه النتيجة جعلت شوقي يتساءل:

أحق أنها هي الدم حتى يجمد، وأنها هي الحرارة حتى تبرد؛ وأنها هي الحركة حتى يقطعها السكون، وأنها هي الجاران حتى تفرق بينهما المنون؟ (أسواق الذهب/ 67) الجاران (المتنبي 1983م/189) وهما الروح والجسد، ونلاحظ تسرب أفكار فلسفية إلى أفكار شوقي الخاصة لمعنى وصورة وحركة الجسد، فصور الجسد بأنه الدم الذي تجمد، والحرارة التي بردت، والحركة التي قطعها السكون.

وقد صور أحمد شوقي الروح والجسد في أعماله بالجارين (أسواق الذهب/67) والزوجين (أسواق الذهب/68) وهي أقوال تحمل أبعاداً فلسفية تدل على صفة الترابط والتلازم قبل الانفصال .

رسالة الجسد وحقيقة الروح عند شوقي:

الأجساد لها رسالة تعبر عن حال صاحبها، وتعبر عن حقيقة الروح في الصدق أو الكذب، وهو ما عبر عنه شوقي بقوله: "الوجوه مرايا أصدقها ما أخذ من قلبك، والعيون مرايا أصدقها ما تريك من عيبك"

(محمد صبري، 2003 ج 1/312)

وتحمل حكمة شوقي بين أثنائها بعداً فلسفياً هو أن الأجساد لا تعبر دائماً عن أحوال أصحابها ولا عن حقيقة الروح بقدر ما فقدت من صفاء الطوية ونبيل الهدف وصدق المرايا، وهذا ما يمكن أن نسميه بالخداع في لغة الجسد (محمد زنجير، د.ت) لغة الجسد في الشعر العربي

وهي ذات دلالة فلسفية تشير إلى أجسام المنافقين، فليس اللباس الحسن والهيئة المحترمة تعبيراً عن نبيل صاحبها دائماً، فقد يختفي وراءها حقيقة حيوان يحاكي فعل الإنسان، وقد حذرنا الله عز وجل من هؤلاء المنافقين في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ۗ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ ۗ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۗ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ ۗ فَاتْلُحْمُ اللَّهُ ۗ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾

دور الجسد التنويري في الشعر عند احمد شوقي

الجسد نظام من العلاقات الدالة والمنتجة للمعاني وعليه فإن اعتبار حركاته إنتاجاً ثقافياً وتفسير منطقي لامتناهه لطبيعة الحضارة ونظام الثقافة.

وقد استخدم شوقي التعبير الحركي للجسد في قصائد وصف الببال (الشوقيات مج1/2/13، 89) كلغة بصرية في شعره لمحاولة الوصول إلى لغة عالمية من خلال وصفه لهذا الفن الحديث وهو فن الباليه.

وقد مثلت حركات وصف الباليه رؤية الشاعر أحمد شوقي الفلسفية لهذا الفن، والتي جاءت الحركة (وصف الرقص) فيها تتلاءم مع الموقف خاصة في أثناء عرض الشاعر لحركة الجسد داخل قصيدته (مرقص) كما يلي:

مَالٌ وَاحْتَجَبَ .. وَادَّعَى الْعَضْبَ

لَيْتَ هَاجِرِي .. يَشْرُحُ السَّبَبَ

عَثْبُهُ رَضِي .. لَيْتَهُ عَثَبَ

عَلَّ بَيْنَنَا .. وَاشْيَاءٌ كَذَبَ

أَوْ مُفَنِّدًا .. يَخْلُقُ الرِّيبَ

(الشوقيات مج1 / 2 / 13)

ويلحظ من العرض الجسدي للحركة (وصف الرقص) أنها مقصودة للإيحاء بمعان ومشاعر معينة مثل (الغضب- الهجر- العتب- الكذب- الريب) ولذلك تبدو أعمق وأكثر تحديداً.

كذلك التنوع في القصيدة بين الحركة والثبات (مال /احتجب) حقق نوعاً من الإحساس بالاستمرارية والتطور، كما ساعدت حركة الجسد على جذب انتباه القارئ لمتابعة ما يقرؤه أمامه من سطور ويتخيله في ذهنه بشغف، وذلك لأن لغة الجسد قد يوصل الإنسان من خلالها مراده بقوة تزيد عن الإيصال باللسان.

(أبو عياش نضال، 2005م، 119)

وكان اتجاه أحمد شوقي إلى استخدام التعبير الحركي داخل قصائده ذات البعد فلسفي يسعى شوقي من خلاله إلى نشر فن جديد في مصر وهو فن الباليه من خلال التركيز على وصف جسد الممثل الذي اختلف أساليب التعامل معه، وذلك باعتبار الفرد معبر عن المجتمع ككل

من أجل التغيير والتعبير عن فن جديد والاستفادة من ديناميكية الجسد لتفعيل الوعي الجمعي، وتثقيف الناس، وتنوير عقولهم وتفتيح أذهانهم على صور الجمال والحب والفلسفة والتأمل من غير إغفال لصنع الكلمات القوية من أجل الارتقاء بفن الببال الحديث والمجتمع معاً.

ازدواج الجسد البشري وجسد المدينة عند شوقي

تطورت نظرة شوقي إلى الجسد البشري (المرأة) في قصيدة خدعوها بقولهم حسناء (الشوقيات مج1/ ج2/111) حيث أخرجها من بعدها البيولوجي الصرف لتدخل في أبعاد كونية متشعبة وتتداخل ظلالتها الرمزية مع العالم وأقاليمه وأشياؤه وتصبح رمز الحضارات، وقد اعتمد شوقي في قصيدته على ازدواج الجسد البشري وجسد المدينة منتجاً للدلالات عبر استنطاق الجسد البشري لأعضائه، فاتخذ شوقي الجسد البشري مهيمنة شكلية يؤسس عليها معمار لوحاته جاعلاً أعماله مشبعة بإيماءات هذا الجسد البشري من خلال ما تم التموضع عليه اجتماعياً من دلالات، وبذلك تمكن شوقي من الكشف عن الطاقات التعبيرية للجسد والدلالات المضمره فيه كما ذكرها في قوله:

خَدَعُوهَا بِقَوْلِهِمْ حَسَنَاءُ وَالْعَوَانِي يُعْرُضْنَ النَّاءُ

أتراها تناست اسمي لما كثرت في غرامها الأسماء

إذا زأنتي تميلُ عني ، كأن لم تك بيني وبينها أشياء

نظرة ، فابتسامه ، فسلامٌ فكلام ، فموعد ، فلقاء

يوم كنا ولا تسل كيف كنا نتهادى من الهوى ما نشاء

يصور شوقي في قصيدته باريس بفتاة ملكة لزمانها بجمالها ونور حضاراتها وماضيها تغشى المجتمعات وتلتقط كلمات الغزل برشاقة وتنتهي إلى لون من الهوى لا يلبث أن ينقلب، فالفتاة حسناء والمجتمع مفتوح والإغراء متصل، فيصيبها الغرور وتتعدد علاقاتها فتتجاهل صاحبها الأول مستخدماً إيحاءات الوجه للكشف عن الطاقات التعبيرية فظهر حديث الجسد للجسد الذي له دوره، وموسيقاه التي تحمل أجمل الألحان، ولغته الخاصة عند لقاء العشاق كما ذكرها شوقي بقوله:

نظرة ، فابتسامه ، فسلامٌ فكلام ، فموعد ، فلقاء

يوم كنا ولا تسل كيف كنا نتهادى من الهوى ما نشاء

* المكسب اللغوي حيث لم يعد التواصل مقتصرًا على اللغة بل أصبح بالإمكان الحديث عن تواصل بين الجسد واللغة والوعي بحدود اللغة وبآليات استغلالها المتوارية خلف الألفاظ.

4- اكتسبت المرأة قدسيته من القصيدة في شعر شوقي، وعبر جسدها أعاد أحمد شوقي قراءة التاريخ والتراث ونقد الأنظمة السياسية فاكسبت جمالها من جمال جسد القصيدة.

هذه الدلالات التعبيرية تحمل بعداً فلسفياً يوضح أن الجسد لم يعد خارج الأشياء، بل يبدأ عالم الأشياء بالانتماء إليه بعد أن تكون قد انفصلت عن عالمها بفعل قوة مدمرة، خاصة أنها تجاهلت صاحبها الأول الذي غضب عليها واتهمها بأنها المخدوعة في وسط تهم الخديعة على المستوى السياسي والعلاقات الشخصية، وينكر عليها حسننها، فهي مجرد امرأة جميلة مغرورة في مغامرة عابرة.

هذه الأوصاف تحمل بعداً فلسفياً للجسد، واستطاع شوقي من خلالها أن ينقد الأنظمة السياسية.

نتائج البحث

1- هل استوعب شوقي مفهوم الروح والجسد عند فلاسفة اليونان وعلى رأسهم أرسطو؟ وهل استوعبه عند فلاسفة الإسلام أمثال ابن سينا؟ استوعاباً جيداً أم انتقدهم وخالفهم دون أن يدرك عمق وتوظيف هذه المصطلحات الفلسفية في بناء النسق الفلسفي لهؤلاء الفلاسفة لكنى لا اعتقد أن شوقي استوعب عمق هذه الأفكار الفلسفية لدى فلاسفة اليونان أو المسلمين وإنما اكتفى بالمعارضة الفلسفية دون تعمق ومع ذلك قدم شوقي فكرة يؤولها الفيلسوف لصالح الفكر الإنساني وأعطى شعره طابعا نظريا تأمليا.

2- قدم شوقي علاجاً للجسد من خلال الموسيقى وعلم العقل متأثراً بنظريات الفارابي وابن سينا⁽¹⁾ حيث أسمع العاشقين أجمل الألحان الموسيقية والتي تكشف لنا عن تأثير شوقي بالفلاسفة بصفة خاصة وتطور العلوم الفلسفية في تلك الفترة التي عاشها بصفة عامة.

3- تحققت عدة مكاسب لدراسة الجسد في شعر أحمد شوقي:

* المكسب الأنثروبولوجي حيث أثبت شوقي أن الوعي والانفتاح على دراسة الجسد هو ضرب من الحوار المتمدن الذي تقوم به الذات مع أحد أعمق أبعادها الفلسفية.

* المكسب الفلسفي حيث لم تعد مسألة المعنى متعلقة بالمجرد بل أصبحت ترتبط بالحس والحركة والتغير.

الهوامش:

الفارابي هو الذي اخترع آلة القانون وألف كتاب (الموسيقى الكبير) ويروى عنه أنه كان يعزف الألحان فيبكي السامع أو يضحكه أو ينومه أو يوقظه من نومه وروى أن ابن سينا دعي لعلاج شاب حار في أمره الأطباء، وكان يزداد هزالاً ومرضاً يوماً بعد يوم ولا ينفع فيه دواء فطلب الشيخ الرئيس إخلاء غرفة المريض وسأله عن الفتاة التي يحبها فباح له الشاب بسرّه وأمر ابن سينا بإحضار الفتاة فلما رآها الشاب لمعت عيناه وهب من رقدته، فصاح ابن سينا قائلاً:

"هذا هو الدواء مع ديوان من شعر الحب"

(ابن سينا، 1952م، 11) و(محمود الحفني، 1995م، 13-14)

1. ابن سينا (1992م) "النجاة في المنطق والإلهيات"، حقق نصوصه الدكتور عبد الرحمن عميرة، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، بيروت، ص18
2. ابن سينا (1952م) "الشفاء" المدخل إلى المنطق" تصدير الدكتور طه حسين، مراجعه الدكتور إبراهيم مذكور تحقيق الأساتذة الأب قنوتاي وآخرون، نشر وزارة المعارف العمومية بمناسبة الذكرى الألفية للشيخ الرئيس، المطبعة الأميرية، القاهرة، ص11
3. أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي (المتنبي) (1983م) "ديوان المتنبي" بيروت للطباعة والنشر، ص189
4. أبو عياش نضال (2005م) "الاتصال الإنساني من النظرية إلى التطبيق"، الناشر كلية فلسطين التقنية/العروب، الطبعة الأولى، ص119
5. أبي علي بن سينا (د.ت) الإشارات والتنبيهات تحقيق الدكتور سليمان دنيا مع شرح نصير الدين الطوسي دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ص101
6. أحمد شوقي (د.ت) "الشوقيات"، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص60
7. أحمد شوقي (د.ت) "أسواق الذهب" مكتبة مصر، القاهرة، ص68
8. على سامي النشار (د.ت) "نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام" دار المعارف، القاهرة، الجزء الأول، ص180.
9. الفارابي (1995م): "الموسيقى الكبير" تقديم محمود أحمد الحفني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص13-14
10. فتح الله خليف (1974م) "ابن سينا ومذهبه في النفس دراسة في القصيد العينية"، دار الاحد (البحيري إخوان) بيروت، ص102
11. محمد صبري (2003م) "الشوقيات المجهولة" دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الجزء الأول، ص312.
12. محمد عثمان نجاتي (1980م) "الإدراك الحسي عند ابن سينا" دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، ص227

ثانياً: المراجع الأجنبية

- 1- Walzer(R.R): "Articles(1964): Avicenna and Arabic philosophy" Encyclopaedia Britannica, London, Vol 11,P.81
- 2- Phaedo, Plato, Pharus (1964) "The Dialogues of Plato, Translated into English with analyses and introduction by B. Jowell ,Oxford, ,61-64.
- 3- Johr, David Blankenship:(1971)" The Theory of The Soul in Platos Metaphysics from dissertation abstinter, Vol.32,no.5, The Johns Hopkins University, new York, P.264.

ثالثاً: المواقع الإلكترونية

- (1) محمد رفعت زنجير (د.ت) "لغة الجسد في الشعر العربي قراءة بلاغية نقدية"

